# أولاً

## مصر بين ثورتين[1]

## من ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م إلى ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م

(١) سبق للكاتب أن كتب عن ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م راصدًا بمقالاته ودراساته أسبابها وإرهاصاتها ومبشرا بها ثم متفاعلا مع أحداثها وراصدا لمجرياتها وأهم نتائجها وما آل إليه حال المصريين بعدها فى كتابه «ثورة الشباب والجمهورية الثانية – ثورة ٢٥ يناير المبشرات والنتائج».

## (١)
## هل نحن فى الطريق إلى ديكتاتورية جديدة؟

يعيش غالبية الشعب المصرى الآن حالة من القلق الشديد بعد ظهور نتائج الانتخابات الرئاسية الأولى؛ فقد أظهرت هذه النتائج أننا وقعنا بين مطرقة الإخوان المسلمين وسندان رموز النظام السابق وأصبح الخيار بينهما، وهذا الخيار يشكل بالنسبة لأغلبية الشعب المصرى خيارا صعبا لم يكونوا يتصورونه ولم يتوقعوه!!

والحقيقة التى لاشك فيها أن الخوف كل الخوف لدى الجميع أن تتحقق رؤية فيلسوف الثورات السلمية «جين شارب» الذى ألهم شباب ثورتنا ثورة ٢٥ يناير بمؤلفه الشهير «من الديكتاتورية إلى الديموقراطية» والذى أحسن د.محمد الشرقاوى صنعا بنقله إلى اللغة العربية حين يقول: «إن هناك خطرا محدقا يتمثل فى أن العديد من الأمم أثناء هذه التغيرات الأساسية السريعة – يقصد المصاحبة للثورات – (تأخذ اتجاها معاكسا لتقع تحت نير أنظمة ديكتاتورية جديدة)، حيث تسعى الزمر العسكرية وأصحاب المطامع والمسئولون المنتخبون والأحزاب السياسية المذهبية باستمرار من أجل أن تفرض إرادتها وتستمر ظاهرة انتهاك حقوق الإنسان والحقوق السياسية للشعوب».

إن محاولة فرض الإرادة الذى نتعرض له الآن من قبل دولة الإخوان من جهة ومن قبل دولة العسكريين من جهة أخرى إنما يقودنا حتما إما إلى ديكتاتورية الإخوان بزعامة المرشد أو إلى ديكتاتورية عسكرية جديدة بزعامة الفريق شفيق وخاصة أننا لم نضع بعد دستور الدولة الذى كان سيمثل الضمان الوحيد لعدم عودة الديكتاتورية من جديد، صحيح أننا قمنا بثورة عظيمة ولايمكن أن ترجع عقارب الساعة إلى الوراء؛ لأن الثورة أزالت بالفعل حاجز الخوف عند المصريين وجعلتهم يدركون قيمة خروجهم السلمى وقدرتهم على التغيير، لكن ماذا لو ووجهت ثورتهم السلمية برد فعل عنيف من قبل ميليشيات الإخوان أو من قبل الجيش والشرطة؟ هنا ستكشف الديكتاتورية عن وجهها القبيح من أى من الطرفين. إن المصريين لم يقوموا بثورتهم ليعيدوا إفراز ديكتاتورية الحكم العسكرى من جديد، كما أنهم لم يقوموا بثورتهم لكى يهيمن على الحكم فصيل معروف عنه تاريخه

الدمـوى وخاصـة أنه الآن تحت قيـادة زمرة تؤمن بالفقه الإخوانـى المغلق الذى لا يقبل الخروج عليه ومن ثم لا يقبل الحوار مع الآخر، وإن قبل الحوار معه لفترة بغرض الوصول إلى الهدف المنشود سرعان ما يتراجع عن العهد ويعود إلى نقطة انطلاقه الأساسية المتمثلة فى مصلحة الجماعة أولا.

وعلى ذلك فإن على طرفى المعادلة الحالية اللذين سيخوضان انتخابات الإعادة لرئاسة الجمهورية أن يقدما للجماهير المصرية بحق الضمان لقيام دولة مدنية ديمقراطية ضد التمييز والاحتكار، دولة ينشـد حاكمها العدل والمسـاواة بين المواطنـين دون وصاية ودون تجبر، دولة يكون الحاكم فيها هو الدسـتور والقانون الذى يطبق على الجميع حاكما ومحكومين، دولة يكون الدين فيها بين المرء وربه والوطن يكون فيه للجميع لا فرق بين مسلم ومسيحى. إن الدولة المصرية منذ فجر تاريخها دولة مدنية عظيمة بنت حضارتها منذ العصر الفرعونى حتـى الآن على العيش المشـترك بين كل الطوائف وكل الديانـات، ولم يختلف ذلك فى العصر السـكندرى و المسـيحى حتى العصر الإسـلامى، وإلى الآن لم يتقاتل المصريون ولم يعرفوا التمييز وإنما كانوا يمارسون شعائرهم الدينية أيا كانت ديانتهم فى المعابد والكنائس والمسـاجد ويعيشـون معا حياة مدنية محترمة أيا كان حكامها سـواء كانوا يونان أم رومان أم مسلمين .إن المرجعية الدينية التى يتحدث عنها الإخوان والقول العلنى بتطبيق الشريعة الإسـلامية على الدولة إنما يعنى أننا لم نكن، منذ دخول الإسـلام إلى مصر وحتى الآن، لم نكن دولة إسـلامية، إنهم يتناسون أن مصر بنص دستورها دولة إسلامية تفخر بتدينها المعتدل ووسـطيتها العظيمة التى عبر عنها الأزهر الشـريف بعلمائه العظام، أولئك العلماء الذين نشـروا الإسلام الوسـطى فى أرجاء المعمورة دون ادعاء ودون تفاخر، إن دولة الأزهر الشريف لا يصح أن تتهم من قبل هذه التيارات التى تتزيا بالإسلام لأغراض سياسية بأنها لا تطبق الشـريعة؛ فالمادة الثانية من الدسـتور تنص على أن الإسـلام هو المصدر الرئيسى للتشـريع، إذن فمـا الداعى إلى تلـك التصريحات التى أزعجت معظم المصريين مسـلمين ومسيحيين!

وعلـى الجانب الآخـر، فإن على الفريق شـفيق أن يعلن صراحة أنه منحاز للشـعب ولثورته وأن يتناسـى خلفيته العسـكرية تلك، فهو رجل مؤهل تأهيـلا عاليا وإن خدمته خلفيته العسكرية فى قيادة الدولة، ومن ثم فإن عليه أن يعلن أنه سيحكم بموجب دستور جديد لدولة قامت بها ثورة تنشـد الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية، دولة لا تمييز فيها

للجيش على الشـعب، دولة تريد أن تنهض على أسـس ديمقراطية لا استبداد فيها. إن ما قاله فى تصريحاته الصحفية عقب إعلان نتائج الإنتخابات فى مرحلتها الأولى ليس كافيا لطمأنة الجماهير المصرية؛ إذ لا يزال قبوله لرئاسة الوزارة أثناء قيام الثورة وانحيازه لمبارك يعنى مسئوليته التاريخية عن مقتل الثوار فى ميدان التحرير، إن عليه أن يتبرأ من انتسابه لهـذا العهـد المباركى الديكتاتورى ويعلن تبرؤه من الرأسمالية الوقحة التى اسـتولت على كل موارد الدولة وسخرتها لخدمة فئة ضالة استبدت بالشعب ونهبت ثرواته، إن عليه أن يتعهد بتحقيق العدالة الاجتماعية ورد الحقوق إلى أصحابها، عليه أن يتعهد بأنه سيرعى دولة القانون والعدالة وأنه سـيتولى منصبه إذا فاز به خادما للشـعب الذى اختاره ولم يأت لتسـديد فواتير من سـاندوه من زبانية الحزب الوطنى المنحل ورأسماليته الوقحة. ولعلى هنـا أعلـن تأييدى لتلك الوثيقة التى اتفقت عليها الأحـزاب المدنية والتى تؤكد على هذه المبادئ التى ينبغى أن يوقع عليها طرفى السباق الرئاسى حتى نطمئن أن أحدهما فى حالة فوزه سـيلتزم بالمبادئ الديموقراطية وبقيم الدولة المدنية التى ننشدها جميعا، وإلا فالأفضل أن يقاطـع المصريون هـذه الانتخابات التى سـتقودنا فى حالة عدم توقيـع طرفيها على هـذه الوثيقة إلى طريق ديكتاتورى جديد لا نتمناه لأنفسـنا مـرة أخرى، وإذا كان الطرفان المتنافسـان فى السـباق الرئاسـى لا يتمنيانه لمصر ولنا فليوقعا على هذه الوثيقة التى تؤكد التزامهمـا بذلـك مادمنا لم نضع بعد دسـتورنا الدائم الذى كان سـيمثل العقد الإجتماعى والسياسى الذى يحدد شكل دولتنا الديموقراطية وأسسها المدنية واحترامها لحقوق الإنسان كاملة وغير منقوصة وغير مهددة من أى طرف وخاصة ذلك الحاكم الذى سننتخبه بإرادتنا الحرة ولابد أن يخضع هو بداية لإرادتنا فى أخذ الضمانات الكافية عليه حتى لا يسـتبد بنا ولا يعيد إنتاج نظام ديكتاتورى جديد أيا كان شكله!!

❑❑❑

## (٢)
## المصريون فى مخاض النهضة
## بين خطاب التقدم وخطاب التخلف

يعيش المصريون الآن حالة من القلق والترقب لم يعرفوها منذ مطلع العصر الحديث؛ فقد مروا بتجارب وخبرات عديدة سابقة كان الهدف فيها واضحا والعدو فيها بارزا وأساليب مواجهته محددة، وفى تاريخ ثوراتهم كانت الثورة قادرة إما على تحقيق أهدافها وحققتها أو عجزت عن ذلك فخمدت وانتظرت اللحظة المناسبة لتحقيق الهدف!!

أما اليوم فالمصريون قد قاموا بثورة غير مسبوقة فى التاريخ سواء فى آلياتها أو فى مفاجآتها للقاصى والدانى، بل ربما لبعض المصريين أنفسهم، وقد كانت ثورتهم هذه المرة ضد استبداد الحاكم المصرى نفسه وليس ضد حاكم أجنبى أو الغزاة المستعمرين، ولما حققوا النصر على المستبد كانت آمالهم عريضة ومساحة التفاؤل لديهم كبيرة بأنهم قادرون على تحقيق بقية الأهداف بسهولة لأن الشعارت المرفوعة محددة وواضحة )حرية – عيش – كرامة إنسانية – عدالة اجتماعية (والطريق إليها بدأوه بتحقيق نصر مبين خلال ثمانية عشرة يوما فقط، فما الذى يقف عائقا أمام تحقيق بقية الأهداف؟!

ذلك كان حال كل المصريين فى الأيام التالية على رحيل مبارك، فما الذى غير الحال وأحل التشاؤم محل التفاؤل، وأحل الكآبة والتجهم محل الابتسام والبشر، ما الذى جرى بحيث جعل المصريون فى هذه الحالة من الذهول والترقب، ما الذى جعلهم ينتقلون من حالة وضوح الأهداف والرؤى إلى الحالة الضبابية التى يعيشون فيها الآن؟!

لاشك أن أسبابا عديدة أوصلتهم إلى هذه الحالة لعل أهمها أنهم أصبحوا يخشون تجذر الانقسام بين الأحزاب والقوى السياسية ويخشون السيطرة الكاملة لفصيل الإخوان المسلمين على الدولة ودفعهم لأهل الثقة على حساب أهل الخبرة، يخشون من دستور تمت صياغته على عجل ولم يشارك فى وضعه كل فصائل وأطياف المجتمع ولم يلق الحد الأدنى من التوافق المجتمعى، يخشون من التعدى الدائم على السلطة القضائية وعدم احترام أحكامها، كما يخشون من تلك التصريحات التى تنهال لحظة بعد أخرى من

متطرفى التيارات الإسـلامية مبشرة بتقييد الحريات وتكبيل المبدعين وعرقلة دور المرأة فى المجتمـع.. إلخ. فضلا عن خشـية المصريين من تدهور الأحـوال الاقتصادية والأمنية أكثر من ذلك مما ينذر بعواقب وخيمة على المستويين الفردى والاجتماعى ويهدد بانهيار الدولة المصرية ذاتها!!

وبدايـة أود التأكيد على أن مصر الدولـة لا تنهار ولايمكن أن تنهار؛ فالمصريون الذين بنوا أول حضارة فى التاريخ عمادها دولة مستقرة مركزية ذات سيادة وهيبة ألهمت وعلمت العـالم معنى الدولـة وكيفية بناء الحضارة والمدنية لا يمكن أن يسـمحوا بذلك، ولا يمكن أن ينقادوا إلى ما يضر بلدهم ويهز أركان دولتهم المهيبة والمهابة عبر التاريخ. إن إمكانيات مصـر البشـرية والمادية وموقعها الجغرافـى الفريد وريادتها فى المنطقـة لا يمكن أن تهتز نتيجـة بعض الخلل الاقتصـادى والأمنى؛ ولعل تاريخنا القريب يشـهد على ذلك، فقد خرجت مصر من حرب أكتوبر ١٩٧٣م وخزانتها لا تحتوى على مليون دولار!! ومع ذلك نجحـت فى تجـاوز الأزمة بفضل روح النصر التى تحلى بهـا المصريون، تلك الروح التى جعلتهـم يتحدون الصعاب ويصبرون على المكاره حتـى تعدت مصر الأزمة وبدأت التنمية وإعادة البناء بدءا من مرافقها المنهارة حتى المدن الجديدة بما حملته من مبشـرات النهضة الاقتصادية والرخاء لشعبها.

وفـى اعتقـادى أن كل مـا نحتاج إليه لكى تعود الابتسـامة إلى الوجوه ويحل البشـر محل التجهم والوجوم، نحتاج لإعادة النظر فى خطابنا اليومى سـواء كان خطاب النخبة أم خطـاب العامـة، فقد غلبت على هـذا الخطاب نبرة التحدى والرفـض للآخر بدلا من التسامح معه والقبول به أيا كان فكره وأيا كان انتماؤه السياسى أو الدينى، غلبت عليه لغة التخوين وتوزيع الاتهامات من الجميع على الجميع، غلبت عليه لغة الشتائم والسباب التى كانت أبعد ما تكون عن طبيعة الشعب المصرى المتدين المعتدل فى كل شىء!!

والحقيقـة التـى ينبغى أن يعيها القائمون على الأمر أن تغيير لغة الخطاب هذه مرهون بهم هم وبلغة خطابهم، حيث غلب عليها الإقصاء بدلا من الدعوة الصادقة إلى المشـاركة، غلـب عليهـا التعـالى والمغالبة بدلا من التواضـع والاعتراف بالخطـأ. إن على من بيدهم السلطة أن يعوا أن السلطة لا تدوم لأحد مهما تعالى على الآخرين واعتصم بشلته أو بحزبه أو بجماعته أيا كانت قوة هذه أو تلك!! إن خطاب السلطة ينبغى أن يتسم بالتواضع وإعلاء

القيم الأخلاقية قولا وفعلا، والالتزام بمبادئ الحوار الإيجابى البناء الذى يسعى لتحقيق النتائج الإيجابية للجميع وليس لمصلحة صاحب السلطة فقط. إن خطاب السلطة ينبغى أن يكون متوازنا يراعى المصلحة العليا للوطن وليس مصلحة الجماعة أو الحزب! إن خطاب السلطة ينبغى أن يسارع إلى الاعتراف بأخطائه بدءا من التسرع فى إجراء استفتاء على الانتخابات أولا، ونهاية بإجراء استفتاء على دستور لم يلق الإجماع أو على الأقل التوافق الوطنى!! إن خطاب السلطة ينبغى أن يعترف بأنه أعطى الأولوية فى المرحلة السابقة والحالية لأهل الثقة على حساب أهل الخبرة ولا يكتفى فى ذلك بالأقوال والاعتذارات الشفوية، بل ينبغى أن تأتى الأفعال مواكبة، بل وفى حالتنا هذه سابقة على الأقوال حتى تعود الثقة بين الشعب والسلطة. وحينما تتسق فى خطاب السلطة الأقوال مع الأفعال وتعود لغة خطابها إلى العقلانية وإعلاء مصلحة الشعب على مصلحة الحزب والجماعة والشلة ويرى الناس نتائج ذلك على الأرض، حينذاك سنجد بالضرورة أن خطاب الشعب قد تغير ليتوافق مع خطاب السلطة ويعود الكل فى واحد من جديد.

إن على الدعاة الجدد، سواء كانوا ينتمون إلى جماعة الإخوان أو إلى جماعات السلفيين أو الجهاديين أو غير هؤلاء وأولئك من التيارات الإسلامية التى قفزت إلى الواجهة بفضل ثقة الشعب الذى منحهم الأصوات أملا فى أن يقودوا التغيير إلى الأفضل، إن على هؤلاء وأولئك أن يراعوا ضمائرهم ويعيدوا تأمل خطابهم الدعوى فى الفترة السابقة ليجدوا أنه كان خطابا صادما وصارما وداعيا إلى الفرقة والانقسام والتمييز بين طوائف الشعب، فضلا عن أنه فى كثير من الأحيان كان مخالفا للشريعة الإسلامية السمحة الداعية إلى الوفاق والتآلف والاستقرار والتعاون، وبدلا من أن يكون خطابهم الدعوى خطابا لينا سمحا يدعو الناس بالحسنى والموعظة الحسنة كان خطابا غليظا منفرا يركز على المظهر دون الجوهر، يركز على الهوامش دون المتن، يركز على ما يفرق دون ما يجمع ويوحد!!. لقد غاب عن خطاب الإسلاميين خطاب وقيم التقدم التى دعا إليها الإسلام وأقام عليها المسلمون الأوائل حضارتهم الرائعة التى سادت العالم وصدرت صور التقدم الفكرى والعلمى والسياسى والاقتصادى والإدارى إلى الغرب المتخلف، ومنها بدأت نهضته الحديثة وتخلفنا نحن لأن أجدادنا لم يواصلوا التمسك بها واستبدلوها بقيم التخلف ووأد الاجتهاد والتصارع على المصالح الدنيوية الفانية!! وهكذا يفعل الآن من يدعون أنهم وحدهم أصحاب المرجعية

الإســلامية؛ إنهم يتخذون من الدين ســتارا لتحقيق أهداف سياسية خاصة وليس لتحقيق تقدم حقيقى كان ينتظره الجميع منهم!! لقد استعان المسلمون الأوائل بالمترجمين والعلماء اليهود والمســيحيين فى بناء النهضة الإسلامية وهم يحاولون الآن إقصاءهم وتخويفهم وبث الرعــب فى قلوبهــم!! إن تغيير لغة الخطــاب وخاصة من قبل الإســلاميين إلى خطاب نهضــوى يدعــو إلى قيم التقدم من خــلال التركيز على جوهر الديــن وإعلاء مصلحة الأمة أصبــح ضــرورة ملحة تلخصها عبارة واحدة هى: إمــا أن يفعلوا ذلك ويلاقوا الترحيب من عامة الشــعب وخاصته وإما أن يعودوا إلى الســكون والتخفى مرة أخرى. إن إرادة الشعب المصرى طوال تاريخه إرادة حياة وإرادة بناء للحضارة والتقدم وليست إرادة هدم وتخلف، إنه شعب صبور وواع وهو بلا شك قادر بحسه التاريخى والحضارى العميق أن يواجه دعاة التخلف والعودة إلى الوراء وأن يجعلهم رغم أنوفهم يفســحون الطريق لمن يســتطيعون قيادة مصر وشعبها من جديد إلى الاستقرار والنماء والتقدم.

لقــد ثار هذا الشــعب البطل مــن أجل نيل الحقوق المهضومة ومــن أجل صنع الحياة الأفضل له وللأجيال القادمة من بعده، ولن تتوقف ثورته إلا إذا شــعر بالفعل أن تحقيق أهــداف ثورتــه قد بدأت تلوح فــى الأفق على يد أناس تعلوا لديهــم مصلحة الوطن على مصالحهم الخاصة، أناس مخلصون وجادون فى تحقيق كل ما يطمح إليه الشعب، أناس يعرفــون كيف يديرون مــوارد الدولة لصنع التقدم وكيف يعملــون بكفاءة وإخلاص حتى يتحقق الرخاء.

❑❑❑

## (٣)
## هل آن أوان ثورة الجامعات المصرية؟!

لقد بدأت مصر بالفعل عصر الجمهورية الثانية منذ أن انتخب رئيسا مدنيا للبلاد، وانتهت الفترة الانتقالية بنجاح حينما انتهى ازدواج السلطة السياسية وعاد العسكريون إلى ثكناتهم وحينما بدأ التغيير يشمل كل جوانب الحياة فى مصر بقيادة د.محمد مرسى وهو أستاذ جامعى يعى بلا شك أن تقدم الأمم والشعوب مرهون بتطوير منظومتها التعليمية وتحديث منظومة البحث العلمى فيها ويعرف جيد المعرفة أن هذا التطوير عادة ما تقوده الجامعات التى هى بمثابة القاطرة التى تقود هذا التقدم؛ ومن ثم فإن على الجامعات المصرية الآن أن تثور على أوضاعها المتردية وأن تزيح عن كاهلها كل عوامل الترهل والجمود لتبدأ بقيادة قياداتها المنتخبة وأساتذتها وباحثيها ثورة شاملة تغير وجه الحياة ليس فى الجامعات وحدها، بل لتغير وجه الحياة على أرض مصر كلها .إن علماءنا فى الجامعات المصرية لا يقلون فى قدراتهم العلمية عن علماء العالم المتقدم، بل على العكس، فبينهم من يستطيعون المنافسة على قيادة الفرق البحثية الدولية فى كل العلوم وفى مختلف ميادينها البحثية، وإن كان ينقصهم بعض الإمكانيات المادية فهم قادرون بما يملكون منها على أن يحققوا الطفرات العلمية والإنجازات المبدعة فيها.

والحقيقة أننى لا أبالغ فى ذلك؛ فقد نجحت جامعة القاهرة قبل ثورة يناير وبعدها فى أن تثور على أوضاعها وأن تنفض عن نفسها غبار الجمود والتخلف الذى أدركته وهى تحتفل بمئويتها الأولى برئاسة د.على عبد الرحمن، حيث نجحت بالتركيز على البحث العلمى والنشر الدولى فى أن تحتل مكانا بين الخمسمائة جامعة الأولى على مستوى العالم، وقيل آنذاك إنها دخلت التصنيف العالمى بفضل فوز د.محمد البرادعى وهو أحد خريجيها بجائزة نوبل للسلام، لكن الحقيقة أن الجامعة كانت قد بدأت فعلا طريق الصعود، حيث لم يمض وقت طويل حتى عادت مرة أخرى فى العامين الأخيرين وتحت قيادة رئيسها الحالى ونائب رئيسها السابق للدراسات العليا والبحوث د.حسام كامل إلى التصنيف الدولى لتحتل مركزا أكثر تقدما، حيث ظهرت فى التصنيف الأخير فى المركز «٤٠٥» على مستوى

جامعـــات العالم وذلك بجهد أســاتذتها وباحثيها الذين طــوروا قدراتهم البحثية وضاعفوا التركيز على النشـــر العلمى الدولى فى أهم الدوريات العلمية العالمية وساعدهم فى ذلك دعم الجامعة للنشر العلمى الدولى ودعم سفرهم للمشاركة فى المؤتمرات الدولية فضلا عن تأسيس المجلـــة العلمية الدولية لجامعة القاهرة والتى لاقت قبولا وترحيبا واســعا من علماء العالم وزادت من فرص الباحثين المصريين فى النشر الدولى لأبحاثهم العلمية.

إن الجامعات المصرية الأخرى لاتقل إطلاقا فى إمكانياتها العلمية والبحثية عن جامعة القاهرة فهى كلها ابنة جامعة القاهرة وشــقيقاتها اللاتى تزخر بالعلماء القادرين على وضع مصـــر على الخريطة العلمية الدولية والقادرين على مضاعفة جهودهم البحثية ليس بغرض النشر الدولى والظهور على المستوى العلمى العالمى فقط، بل على حل معظم المشكلات التى يعانـــى منها المجتمـــع المصرى من خلال هذه الأبحاث وتطبيقاتها. وإنى لأعى ويعى معى رئيس الدولة ووزراؤها ومثقفوها وقادة الفكر والرأى فيها أن معظم الحلول لمشكلاتنا العلمية والاقتصادية، بل الاجتماعية والسياســية موجودة داخل الرسائل والبحوث التى يخرجها كل عام مئات الباحثين العلميين المصريين سواء فى رسائلهم العلمية للحصول على درجتى الماجســتير والدكتوراه أو فى أبحاثهم للترقى للدرجات الأعلى فى الجامعات أو فى مراكز البحـــوث العلمية أو فيما يعدونه من أبحاث للمشـــاركة فى المؤتمـــرات الدولية والمحلية. ولا يتبقى لحل هذه المشكلات إلا أمرين اثنين؛ أولهما معنوى وهو أن نثق بقدراتنا العلمية بالنتائـــج البحثيـــة التى يقدمها العلمـــاء المصريون، وثانيهما مـــادى وتطبيقى وهو أن نوفر الإمكانيـــات المادية للبحوث العلمية، ونعلم بها الجهـــات التى تأخذ نتائج هذه الأبحاث والمكتشـــفات العلمية لتطبقها فى ميادين الصناعة والزراعة وفى جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصاديـــة والسياســية المصرية .إن ثقتنا بالقدرات البحثيـــة للعلماء المصريين هى نقطة البداية لأننا وإلى الآن عادة ما نفضل اللجوء للخبرات الأجنبية فى حل مشكلاتنا من مشكلة إنشـــاء المحطات النووية لتوليد الطاقة إلى مشـــكلات المرور والتأمينات الاجتماعية!! وفى الحقيقة أن هذا التفضيل للخبراء الأجانب هو الســـبب المباشـــر فى إخماد وكبت القدرات البحثية المبدعة لباحثينا وعلمائنا فضلا عن أنه السبب فى هجرة العقول المبدعة إلى الخارج ليجدوا البيئة البحثية الملائمة للبحث العلمى المتقدم وتطبيقاته.

إننى أشـــعر الآن أننا بالفعل على أعتاب نهضة شـــاملة فى مجتمعنا، وأن هذه النهضة لـــن تتحقـــق إلا عبر الدور الرائـــد والقيادى للجامعات المصرية، ومن ثـــم ينبغى أن يترجم

ذلك إلى خطة عمل قومية تنطلق من توفير الدعم المادى اللا محدود لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية سواء بزيادة رواتبهم تلك الزيادة التى تشجعهم على التفرغ للبحث والإبداع العلمى أو بتوفير الإمكانيات المادية والبيئة البحثية التى تمكنهم من إجراء بحوثهم العلمية المبدعة بنفس القدرات التى توفرها الجامعات المتقدمة فى الشرق والغرب لباحثيها وعلمائها، وثانيا أن يصدر القانون الجديد للجامعات معبرا عن كل ذلك فيزيل أية عقبات تحول دون حرية البحث العلمى وتشجع على استمرارية تطوير وتحديث البرامج التعليمية والبحثية داخل الجامعات المصرية، ويؤكد على استقلال كل جامعة برؤيتها ورسالتها وبآليات تحقيق أهدافها ويؤكد كذلك على استقلال الجامعات المالى والإدارى بشكل تام، ومن ثم فلم يعد مقبولا الإبقاء على السلطات المطلقة للوزير وللمجلس الأعلى للجامعات فى السيطرة على الجامعات وتنميط برامجها الدراسية والبحثية. وإذا لم يكن ممكنا – فيما أرى – إلغاء المجلس الأعلى للجامعات بكل سلطاته، فليبقى ولتتحدد سلطاته فى الحد الأدنى الذى يتوقف عند رسم السياسات العامة للتعليم العالى وتنظيمها دون التدخل فى شئون الجامعات الأكاديمية والإدارية. وثالثا أن تتاح الفرصة للجامعات وخاصة من خلال قطاعى الدراسات العليا والبحوث وشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة للاتصال المباشر بالهيئات والشركات والمصانع المختصة لتسويق أبحاثها وعقد اتفاقات الشراكة بين الجامعات وبين هذه الجهات.

إن من شأن هذه الشراكة البحثية والتطبيقية بين الجامعات وهيئاتها البحثية وبين هذه القطاعات من المجتمع ليس فقط تحقيق التطور العلمى والتقنى وحل المشكلات التى تواجهها، بل تساهم بفعالية فى أن ينشأ لدينا ما يسمى عالميا الآن بـ «مدن المعرفة»؛ فالمعرفة والإبداع العلمى الذى توفره الجامعات ينبغى أن يسهم بشكل مباشر فى تطوير الصناعة والزراعة والحياة الاجتماعية والاقتصادية داخل المدن التى تتواجد فيها هذه الجامعات، وعلى الهيئات والشركات فى هذه المجالات أن تتعاون وتدعم الشراكة مع الجامعات القريبة منها لتوفر لها بالبحث العلمى ما تحتاجه من أسس للتطوير والتحديث. وعلى هذا النحو يكون التلاحم بين الجامعة وهيئات المجتمع المختلفة أساسا لتطوره وتقدمه. ولعل بداية الغيث قطرة وهذه البداية تتمثل فى مدينة زويل العلمية فهى أول وأهم مشروع فى هذا الاتجاه الذى يقوده باقتدار معرفى وبإدراك فلسفى وتطبيقى عظيم العالم

المصرى الفذ د. أحمد زويل، إنها البؤرة المضيئة الأولى التى ستشـــع بنورها وريادتها على المجتمع العلمى المصرى بجامعاته وهيئاته البحثية ليشـــمل التقدم كل جوانب الحياة على أرض مصـــر. فقـــط مطلوب من الجامعات المصرية الآن وليس غـــدا أن تبدأ ثورتها الداخلية بأيدى وعقول أســـاتذتها وباحثيها وهى من ثم ســـتقود الثورة على كل جوانب التخلف فى مجتمعنا وتقوده حتما إلى التطوير والتحديث والتقدم.

❑❑❑

## (٤)
## يا ليته يكون فرعونًا !!

حينمـــا احتـــد النقاش حول ما يجرى فـــى مصر حاليًا من صراع بين تيارات الإســـلام السياسى وبين بقية القوى الوطنية، صاح صديقى قائلاً: لا نريد فرعونًا جديدًا!! فأدهشه ردى الهادئ: يا ليته يكون كذلك. فصاح مرة أخرى: أتريد أن يحكمنا ديكتاتورًا جديدًا!! قلـــت له: يا صديقى أرجـــو أن تميز بين الفرعون والديكتاتور؛ فالفرعون لم يكن ديكتاتورًا ولم يكـــن مســـتبدًا كما تدعـــون عليه. إننى بحق أعجب من شـــعب لا يقرأ تاريخه جيدًا، ويظل يردد عبارات وشعارات غير صحيحة دون أن ينشغل ولو لمرة واحدة بأن يقرأ ويعرف حقيقة الأمر. فهل كان الحاكم المصرى فى مصر القديمة ملكًا مســـتبدًا متســـلطًا لا يقف فى وجهه أحد ولا يخضع لقانون؟!

الحقيقـــة يا صديقـــى العزيز أن كلمة الفرعـــون لم تكن تعنى أكثر مـــن صاحب القصر أو ســـاكن القصر الملكى. كما أن الملك المصرى القديم كان يخضع للقانون مثله مثل شـــعبه، وكان لديه ســـلطة قضائية يحترمها وقد كشـــفت الوثائق القديمة عن مدى استقلال القضاء فى مصر القديمة، حيث كانت المحاكمات تســـير بدقة طبقًا للإجراءات القانونية. ويروى التاريـــخ المصـــرى حادثتين على جانب كبير من الأهمية والدلالة؛ ففى محاكمات الأســـرة السادســـة والأســـرة العشرين حدث أن رجال الحاشـــية بزعامة زوجة الملك دبروا مؤامرات لقلب نظام الحكم بعد قتل الملك الجالس على العرش؛ ففى عهد الأسرة السادسة فى عصر الملك بيبى الأول دبرت زوجته مؤامرة لقتله وقيل إن سبب ذلك كان غيرتها من زواج الملك بأميرتين غيرها وفشلت المؤامرة وأصدر الملك قراره بتشكيل محكمة لمحاكمتها.

وفى عهد الأســـرة العشـــرين فى عصر رمسيس الثالث دبرت إحدى نساء الحريم الملكى مؤامرة لقتله والاستيلاء على الحكم لتمكين ابنها من اعتلاء العرش وقد اكتشفت هذه المؤامرة أيضًا وأمر الملك بتشكيل محكمة لمحاكمة المشاركين فى هذه المؤامرة. إذن لقد شرع المتآمرون فـــى قتل هذين الملكـــين ولكنهما لم يدفعا هؤلاء المتهمين للإعدام دون محاكمة رغم أن ذلك هو رد الفعل الطبيعى لملك يستيقظ ليرى قاتليه وهم سيشرعون فى قتله، فيهم رابط الجأش

ليستدعى القضاة ويحيل إليهم الأمر مؤكدا لهم أن عليهم أن يتبينوا عبر التحقيق الجريمة والمشتركين فيها محددين نصيب كل مجرم من الجرم ومنزلين عليه العقاب الذى يستحقه دون تدخل منه ويحذرهم من أن يعاقبوا بغير حق!

وقد استدل المؤرخ ديودور من ذلك على أن الملك المصرى القديم كان يحترم القانون والقضاء وكان مقيدًا بروح العدالة ولا يستطيع التصرف إلا وفق ما تنص عليه القوانين! فأين حكام اليوم من احترام القانون والقضاء!!

يا صديقى نحن نتهم الملوك المصريين القدامى بالتجبر والاستبداد بينما هم كانوا يؤمنون بالحوار حتى مع خصومهم. انظر إلى فرعون موسى؛ فقد تربى موسى فى قصر الفرعون ولما كبر موسى وكلف بالرسالة السماوية ذهب إلى الفرعون يدعوه إلى الإيمان ودار بينهما الحوار الشهير فى سورة الأعراف، حوار الحجة بالحجة والسحر بالسحر فماذا فعل الفرعون بموسى؟ هل قتله أم استدعى إليه السحرة من أنحاء البلاد كى يردوا على سحره؟ ولما فشل هؤلاء السحرة هل قتل خصمه أم عاقب هؤلاء السحرة على أنهم لم يستطيعوا الرد على معجزة النبى موسى!!

يا صديقى العزيز، لقد اتخذنا من قصة الفلاح الفصيح دلالة على مدى تجبر الملك المصرى واستحسانه للاستيلاء على حمار القروى وماعليه من خيرات وضربه ليزيد من شكاواه التى أعجب الملك ببلاغتها وسحر بيانها!! وكان هذا – إذا ما قرأنا القصة جيدًا – أبعد ما يكون عن هذا الملك المصرى القديم؛ فمنذ مطلع القصة تكتشف أن ذلك الموظف الذى طمع فى حمار الفلاح وما عليه من مؤن لم يستطع الاستيلاء عليه إلا بحيلة خبيثة. ولما كان هذا الموظف يعمل عند حاجب الملك رنسى بن ميرو، وكان القروى خوان إنبو يعرف ذلك جيدا فقد اشتكى لرنسى مما لاقاه أمام قصره من عنت وظلم. ولما أعجب رنسى ببلاغته وشجاعته نقل ذلك فى المساء إلى الملك فما كان من الملك إلا أن أمر رنسى بن ميرو بأن يبلغه أولاً بأول بشكاوى هذا القروى بعد أن يؤمن له ولأسرته وأطفاله سبل العيش وما يحتاجونه لأن هذا القروى حينما يشد الرحال إلى العاصمة فما ذلك إلا لأن منزله خاو حتى الأرض!! إذن فالملك الذى ندعوه مستبدًا ظالمًا كان يعرف جيدًا أحوال شعبه ويهتم بتفاصيل حياتهم. إن الملك نب – كاو – رع أراد من خلال الاستماع إلى شكاوى هذا القروى البليغ أن يعرف ما يعانيه الناس فى ظل حكمه حتى ينظر هل تتناقض هذه المظالم

والشكاوى مع التقارير الرسمية التى كانت تأتيه من المسئولين والحجاب ومن الوزير الأول. ولعلنا ندرك أن مواصلة شـكاوى القروى التسعة لتسعة أيام كاملة وإصراره على أنه سينال حقه وأن العدالة سـتتحقق حتى لو كان من ظلمه واعتدى عليه أحد موظفى قصر حاجب الملك، كل ذلك يعنى أن العدالة والقانون كان لهما من يسهر على تطبيقهما وأن الحق يعود إلى أصحابه مهما كان شأنهم. وكم كان رائعًا من هذا الملك الإهناسى أن يأمر بعد أن استمع إلى كل هذه الشـكاوى من القروى الفصيح المطالب بالعدالة ورد الحقوق، كم كان رائعًا أن يأمر برد الظلم عنه وأن يجرد الظالم من كل ثرواته وأملاكه هو ورجاله الذين اشتركوا معه فى هذه الجريمة ضد خوان إنبو ذلك الفلاح البسـيط الذى كان يعى أن «العدل» لا يضيع فى مصر وأن الملك سيرد عنه الظلم ويدفع عنه الظالمين!

يا صديقى، لقد كان ملوك مصر القديمة هم من يتغنون بالعدالة ويشـعرون مع تطبيقها على كل أفراد الشعب بالسعادة وأنهم سينعمون بالخلود بعد هذه الحياة.انظر إلى حتشبسوت تلـك الملكة المصرية القديمة التى كتبت على قبرهـا «لقد كان خبزى العدالة». هذا ما كان يفتخر به ملوك مصر القديمة رجالاً ونساءً فماذا يفعل حكامنا اليوم؟! يتغنون بها دون أن نـرى منها على الأرض شـيئًا. إن ملوك مصر القديمة كانـوا يملأون الأرض عدلاً وخيرات وكان أهل مصر يعيشون مستقرين سعداء يمرحون على شاطئ النهر فى المساء ويعملون بكل جـد واجتهاد فى الصباح، وكان علماؤها وكهنتها يصنعون التقدم فى كل مجالات الحياة ولا تزال معجزاتهم المعمارية والعلمية شـاهدة على عبقريتهـم وإنجازاتهم الحضارية التى لم نصل بعد رغم كل التقدم العلمى فى عصرنا إلى معرفة أسرارها وفك طلاسمها. ياصديقى إن أحـد ملـوك مصر القديمة رفض أن يـزوج إحدى أميراته إلى أحـد الملوك من أصدقائه المقربـين قائلا له: لم تجر عادة المصريين أن يزوجوا بناتهم لأحد من الغرباء!! فماذا أنتم فاعلـون الآن فـى بنات مصر الذيـن يباعون وهم لا يزالون أطفـالاً لأثرياء العرب فلا نجد مصرى يتحرك ولا نجد قانونًا يسن لتحريم ذلك ورفضه!!

يا صديقى لقد أفاض المصريون القدماء ملوكًا وشعبًا على الإنسانية كلها بالمعرفة والتقدم العلمى والنظام السياسـى المسـتقر لآلاف السـنين من خلال اتفاقهم على كلمة واحدة هى «العدالة – الماعت»، فكانت هى دسـتورهم ومطلبهم حكامًا ومحكومين، ولتنظر أخيرًا إلى خطـاب التكليـف الملكى للوزير الأول حينما يعينه وهو يقـول له: تبصر فى وظيفتك وكن

يقظًا لمهامها فهى الركن الركين لكل البلاد. إنها ليست حلوة المذاق، بل إنها مرة، فالوزير الأعظم هو النحاس الذى يحيط بذهب سيده ثم يحذره من أنه وإن كان يمثل مكانة بارزة فى الدولة فإن الماء والهواء يخبران الآن بكل ما يفعله، فعليه إذن أن يراعى الصدق والعدالة وألا يتوانى أبدا فى إقامة العدل لأن الناس ينتظرون العدل فى تصرفات الوزير. ولأذكرك يا صديقى أن الملك لم يكن يعين مسئولا إلا وهو كفء للمنصب الذى يتولاه وليست قصة يوسف مع الملك المصرى الذى جعله أمينا على خزائن مصر وهو الغريب السجين الذى كان متهما فى قضية تتعلق بشرف الملك ذاته إلا مثالا واضحا على ذلك!!

أين نحن الآن من كل ذلك؟ يا صديقى، إن المصريين القدماء صنعوا أعظم الحضارات الإنسانية وأكثرها تقدمًا على وجه الأرض منذ ذلك التاريخ وحتى الآن بدليل أننا لا نزال نعجز عن فهم إنجازاتهم الجبارة فى مجالات العمارة والطب والتحنيط والفلك والهندسة وغيرها من العلوم. فما بالنا الآن نعجز عن بناء نظام سياسى جديد يحترم فيه الجميع الدستور والقانون!! ما بالنا نعجز عن أن نتلاحم ونترابط كما كان أجدادنا هؤلاء ونحيا حياة «الكل فى واحد»!! ما بالنا لا نستطيع أن ننحى مصالحنا الآنية الوقتية فى سبيل مصلحة الوطن الذى نعيش على أرضه ونلتحف بسمائه وننعم بخيراته!! ما بالنا لا نستطيع أن نحقق العدالة والنظام رغم أننا لدينا، بالإضافة إلى الميراث الحضارى العظيم ونواتج التقدم الإنسانى الرائعة، شرائع الله السماوية. إننا حقا لا نستحق الحياة الكريمة التى نطلبها ما دمنا لا نستطيع الإخلاص فى القول والعمل لوجه الله والوطن وليس لمصلحته أفراد أو جماعات تتصارع من أجل سلطة زائلة وتتقاتل فى الوقت الذى يضيع فيه الوطن وتتهدم أركان الدولة، لك الله يا مصر ولكم أيها المصريون الشرفاء المجد والسؤدد إن شاء الله ما دمنا بقى فينا بعض المخلصين للوطن والمنتمين إلى هذه الأرض الطيبة المعطاءة بلا حدود!

❑❑❑

## (٥)

## عاجل إلى وزير التربية والتعليم..
## راجع قرارك الأخير وإلا لحقتك لعنة الفلاسفة والمجتمع!!

فى الوقت الذى يشكو المجتمع المصرى من الفوضى الفكرية والبلطجة نتيجة شيوع الأمية وصور عديدة من التفكير الخرافى والأسطورى وانعدام القدرة على التفكير العلمى والعقلى المنظم بين أبناء مصر، نجد أن وزارة التربية والتعليم تصدر قرارا بتهميش دراسة المقرر الوحيد الذى يتعلم أبناؤنا من خلاله التفكير العقلانى، إنه مقرر الفلسفة والمنطق؛ فبعد أن استبعد من أن يكون –كما هو متبع فى كل دول العالم المتقدمة– مقررا دراسيا متدرجا على جميع الطلاب من المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الثانوية حسب مستواهم الفكرى ومتطلبات المرحلة التربوية، نجد نظامنا التعليمى يقصر تعلم الفلسفة والتفكير الفلسفى والمنطقى على طلاب الشعبة الأدبية، وباليته توقف عند ذلك، بل إن وزارتنا الميمونة أصدرت قرارا فى إطار مايسمى بالنظام الجديد للثانوية العامة بأن يقتصر وجود الفلسفة والمنطق فى الصف الثالث الثانوى على كونها مقررا اختياريا يختار الطالب بينه وبين علم النفس والاجتماع إضافة إلى مقررين إجباريين هما التاريخ والجغرافيا!!

حقيقة لاأدرى أى منطق أعوج وراء هذا الهراء، لأن الجميع يعرف أن الفلسفة هى أصل العلوم جميعا فما بالك بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، وقد فات الجميع إدراك أنه إلى وقت قريب كان علم الاجتماع وعلم النفس مجرد شعب داخل قسم الفلسفة فى الجامعات المصرية!!

يا أيها السادة الأفاضل الذين تصدوا لإصدار هذا القرار الأهوج راجعوا أنفسكم قبل أن يحاسبكم التاريخ الذى لايرحم، إذ إن معنى تهميش دراسة الفلسفة هو تغييب للعقل وإبعاد لأبنائنا عن التدريب على التفكير العقلى الحر المبدع؛ فدراسة الفلسفة ليس الهدف منها فقط معرفة مذاهب الفلاسفة ودراسة أنساقهم الفلسفية، بل تستهدف معرفة كيف يفكر الفيلسوف وكيف يُعمل عقله فى تحليل مشكلات عصره وإدراك الحلول الصائبة لها عبر إدراك عللها الخفية وراء مانشاهده من ظواهر أو أعراض لهذه المشكلة أو تلك مما يواجهه

المجتمع فى كل مجالات الحياة وإذا كان تهميش دراسة الفلسفة الآن يتم إرضاءً لتيارات دينية بدأ يعلو صوتها الآن على الساحة السياسية والإعلامية فدعونى أذكركم وأذكرهم بأن الحضارة الإسلامية لم تنهض وتحقق السيادة والريادة فى عصرها الزاهى إلا بفضل الوعى الرائع بأهمية التفكير المنطقى والفلسفى ودورهما فى قيادة التقدم العلمى والحضارى للأمة جنبا إلى جنب مع الوعى بجوهر الإسلام الصحيح الداعى إلى التفكير العلمى والعقلى لدرجة فرضهما على المسلم حتى يكتمل إيمانه، وهذا هو ماعبر عنه الإمام أبو حامد الغزالى قديما بقوله «إن العقل أساس الشريعة» و «إن الشكوك هى الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال»، وهذا أيضا هو ماعبر عنه مفكرنا المعاصر عباس محمود العقاد حينما كتب« التفكير فريضة إسلامية» وقصد بذلك أن التفكير العقلى وعماده التفكير الفلسفى والمنطقى هو ما يمثل الأداة الرئيسة للإبداع وإحراز التقدم فى العلوم الأخرى، بل فى كل مناحى الحياة؛ ولا أدل على ذلك من أن العلماء المسلمين الأوائل فى عصر الإسلام الزاهى كانوا عادة ما ينصحون تلاميذهم بدراسة الفلسفة والمنطق قبل أن يتخصصوا فى دراسة أى من العلوم الطبيعية أو الرياضية أو حتى العلوم الشرعية! فما بالنا اليوم ونحن فى أشد الحاجة إلى التدريب على استخدام التفكير العقلى المنظم نحرم طلابنا من أن يدرسوا الفلسفة وأن يتدربوا على التفكير الفلسفى والمنطقى عبر سنوات الدراسة الثلاث فى الثانوى العام على الأقل!!

إن دراسة الفلسفة والمنطق والتفكير العلمى نظريا وتطبيقيا هو الذى سيصنع الفارق فى عقلية الطالب المصرى، بل فى عقلية الإنسان المصرى عموما، إنه ما يمكن أن ينقلنا من ثقافة التخلف التى تلفنا وتجرنا إلى الوراء الآن إلى ثقافة التقدم والنهضة التى نطمح إلى تحقيقها، هو الذى سينقل مجتمعنا من هذا التزمت والتعصب الأعمى للرأى أو للحزب أو للمعتقد أيًا كان نوعه إلى قيم نريدها جميعا مثل التسامح الفكرى وحب الحوار مع الآخر والقبول به وجودا وفكرا.

وإذا ما سمح لى السادة الذين اتخذوا هذا القرار المعيب تحت ضغط الوقت ومتطلبات التطوير – الذى لن يكون بدون تعلم الفلسفة والتفكير المنطقى – أن أقدم اقتراحا فى هذا الأمر لعله يكون حلا لهذه المعضلة، فإنى أقترح ما يلى بصورة واضحة ومحددة بالنسبة لما يدرسه طلاب الصف الثالث الثانوى.

**أولا:** الاكتفاء بدراسة اللغة العربية واللغة الأجنبية الأولى كمقررين إجباريين على كل الطلاب فهذا أجدى بالنسبة لهؤلاء الطلاب، فإجادة لغة أجنبية واحدة إلى جانب لغتهم الأم هو أمر يسعى إليه الجميع ولا داعى لأن نثقل على الطلاب بضرورة دراسة لغة أجنبية أخرى سرعان ماسيهملها.

**ثانيا:** بالنسبة للثانوى العام الأدبى يمكن إدماج التاريخ والجغرافيا فى مادة واحدة مبسطة كما هو الحال فى مادة علم النفس والاجتماع، ومن ثم تصبح مادة الفلسفة والمنطق هى المادة الثالثة، بل هى بالتأكيد المادة التى ينبغى أن توضع فى الترتيب الأول بين مواد الثانوى العام الأدبى. وعلى ذلك تتكافأ المقررات الثلاثة فى الأهمية وفى الدمج أيضا؛ إذ إن دمج التاريخ مع الجغرافيا يعد منطقيا حيث يتكامل دراسة تاريخ الشعوب مع جغرافية المكان، كما يتكامل دراسة الإنسان فردا وجماعة فى علمى النفس والاجتماع.

وأتصور أن هذين المقترحين منطقيان فى إطار سياسة الوزارة فى التخفيف على الطلاب، وفى الوقت ذاته سيتحقق تكافؤ الدراسة فى الشعب الثلاثة؛ فإذا كان الطالب لن يختار بين بدائل فى شعبتى العلوم والرياضيات حيث سيدرس فى كليهما ثلاثة مقررات إجبارية بالإضافة إلى اللغتين العربية والأجنبية فلا داعى لأن نخير طلاب الشعبة الأدبية بين بديلين كلاهما مهم بالنسبة له، فضلا عن أن دمج التاريخ والجغرافيا سيجعلنا أمام مقرر دراسى واحد متكامل يخفف من حدة وثقل دراسة كل مقرر منهما على حدة. وليعلم الجميع أننا هنا لا نقلل من أهمية دراسة اللغة الثانية ولا من أهمية دراسة علمى التاريخ والجغرافيا، بل الهدف هو التخفيف عن طلابنا الذين سيتجهون بعد ذلك إلى الكليات التى سيتعمقون بالدراسة فيها من خلال التخصص الدقيق فى أى فرع من فروع المعرفة الإنسانية والاجتماعية. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، والله المستعان.

❑❑❑

## (٦)
## هل انطفأت أنوار مصر؟!

بعد احتفالات الشباب بمرور العام الثانى على ثورتهم العظيمة، ثورة الخامس والعشرين من يناير٢٠١١م، تلك الاحتفالات التى تراوحت بين البشر والسرور من قبل تيارات الإسلام السياسى الحاكمة والمتحكمة الآن، وبين الضيق والإحباط من قبل معظم طوائف الشعب المصرى الأخرى، ذلك الإحباط الذى عبروا عنه بخروجهم إلى الميادين فى معظم محافظات مصر مطالبين بسقوط الحكومة والنظام بعد الفشل فى تحقيق أهداف الثورة وبعد الجمود الذى أصاب الحياة السياسية بفضل القرارات الخاطئة والسياسات التى لم تضف جديدا على حياة المصريين!!

أقول إنه منذ هذه الاحتفالات أرى الكآبة والقلق على وجوه الشباب؛ ذلك القلق وتلك الكآبة التى ذكرتنى بما قبل الثورة مما دفعنى لأن أسألهم: ما بكم أيها الشباب؟ ماهذا اليأس الذى أراه فى عيونكم وما هذا الصمت المريب الذى أصبح من سماتكم بعد أن كانت أصواتكم عالية وحماستكم لاحدود لها؟! فإذا بأحدهم يصيح قائلا: ماذا نفعل وقد انطفأت أنوار مصر بعد أن تسلمها الإخوان المسلمون ومن تحالف معهم من التيارات الإسلامية الأخرى، ماذا نفعل وقد سدوا شرايين الحياة فى أنحاء المحروسة ؟!وها نحن نعانى الأزمات تلو الأزمات؛ نعانى تقييدا فى الحريات ووأدا للإبداع الفنى والأدبى، ونقصا فى الخدمات التى طالت أبسط مقومات الحياة ؟! ماذا نفعل وقد أصبحنا نعانى من نظرات الريبة والعتاب من كل من يرانا متصورين أننا السبب فى كل ماحدث منذ أشعلنا شرارة الثورة التى لم نستطع تحقيق أهدافها ؟ !ماذا نفعل ونحن فى كل يوم نعبر عن غضبنا مما يحدث بالتظاهر السلمى فنواجه بعنف لم نشاهده فى عهد الرئيس المخلوع؟! ماذا نفعل وصوتنا لم يعد يسمعه أحد رغم مرور الأيام والشهور ونحن قابعون فى ميدان التحرير نرفع مطالبنا ومطالب الشعب العادلة ولا يستجيب لنا أحد؟! الكل مشغول؛ الرئاسة والحزب الحاكم بأمور الانتخابات حتى تتم السيطرة على ما تبقى من سلطات الدولة، والمعارضة مشغولة بتوصيل رسائلها المعارضة رسالة تلو الأخرى لمؤسسة الرئاسة التى لم تعد تسمع

إلا لصـــوت الجماعة والحزب ! ! إن مصر أصبحت على شـــفا الإفـــلاس الاقتصادى وعجلة الإنتاج شبه معطلة، والشوارع تكاد تكون مغلقة ومعظم المصالح متوقفة عن العمل وكأننا فى عصيان مدنى حقيقى رغم أننا لم ندعو إليه بعد ؟! ماذا نفعل وقد انسد أفق الحرية الذى كنا نتمناه وانطفأت طاقة النور التى علقنا عليها آمالنا فى المســتقبل المشــرق ؟ !ماذا نفعل وقــد ازدادت وطأة الظلم وغابت العدالة التى كم نادينا بها وحلمنا بتحقيقها بعد الثورة؟! لقــد تبددت أحلامنا فى المســتقبل الأفضل، وفى فرصة عمل كنا نطمــح إليها وفى حياة مستقرة كنا نتوق إليها، لقد تحولت الأحلام والطموحات إلى سراب ولم نعد نرى فى نهاية النفق المظلم إلا الظلام الدامس ! !

وهنا أوقفت هذا الشــاب عن الاسترسال فى الحديث قائلا: يا بنى، إن أضواء مصر لم ولن تنطفئ ولايستطيع أن يطفئها أحد؛ لأنها لو تعلم ليست فى الأشخاص ولا فى الحكام أو النظام الحاكم أيا كان، وإنما هى فى مؤسســات الدولة المصرية العريقة التى لامثيل لها فى المنطقة، إنها فى الأزهر الشريف وفى جامعة القاهرة وفى المجمع العلمى المصرى وفى مجمــع اللغة العربية وفى المركز القومى للبحــوث، إنها فى جريدة الأهرام الهيئة المصرية العامــة للكتاب وفى المجلــس الأعلى للثقافة وفى أكاديمية الفنون وفى الثقافة الجماهيرية ودار الأوبــرا المصرية والمســرح القومى المصرى، إنها فى اتحــاد كتاب مصر وفى النقابات المهنية المصرية، إنها فى شــركات مصر الكبرى فى المحلة وكفر الدوار والإســكندرية وكل محافظــات مصر، إنها فى الســد العــالى والقناطر الخيرية وقناة الســويس، إن أنوار مصر تلمحهــا فى عينى الفــلاح المصرى الذى لا تفت فى عضده الأزمات والســنون، تراها فى إصرار العامل المصرى الخلاق البناء الفتى، إن أنوار مصر يحرســها جيشها الوطنى العظيم الذى ظل وســيظل حامى حماها إلى الأبد. إن أنوار مصر فى كل مؤسســاتها الوطنية التى تحمــل على عاتقها تقدم مصــر وصنع نهضتها. إن هذه المؤسســات وإن خبا نورها بعض الوقت بفعل الضغوط والاســتبداد، فإن نورها سيعود بلا شك أقوى مما كان. إن أنوار مصر لا يمكــن أن تنطفئ مــا دام فيها علماء من أمثال د.محمد غنيــم ومركزه العالمى للكلى فى دلتا مصر ود.مجدى يعقوب بمركزه العالمى للقلب فى صعيد مصر،إن نور العلم لايمكن أن ينطفــئ فيها مــا دام قد بدأت تنفذ مع ابنها البار د. أحمد زويل المشــروع العلمى القومى (مدينة زويل العلمية) الذى ســيكون بؤرة لإشــعاع علمى جديد لمصر وبداية لإنشاء عددٍ من

المدن العلمية المتكاملة التى ستعيد الريادة العلمية لها وتسهم فى حل الكثير من مشكلاتها وتدفع عجلة الإبداع لدى أبنائها نحو المشاركة فى ركب التقدم العلمى العالمى بقوة، إن أنوار مصر العلمية لا يمكن أن تنطفئ وفيها هذا الكم الهائل من الكليات والمعاهد والمراكز العلمية والبحثية التى تكتظ بآلاف العلماء والباحثين الذين يسهرون ليل نهار على إنجاز أبحاثهم العلمية المبدعة فى كل ميادين العلم، تلك الأبحاث التى لو التفت إليها السادة المخططون والذين يمتلكون السلطة التنفيذية لوجدوا بها حلولا فورية لكل مشكلات مصر. إن أنوارها الفكريـــة والثقافية والفنية لن تخبو أبدا ما دام فيها كتاب عظام من أمثال محمد حســنين هيكل و السيد يس و جابر عصفور وصلاح فضل ومحمد سلماوى وجمال الغيطانى ويوسف القعيد وبهاء طاهر ويوســف الشارونى وعلاء الأســوانى وقدرى حفنى وسعد الدين إبراهيم وســكينة فؤاد وأحمد الســيد النجار وغيرهم كثير كثير، ما دام فيها شعراء كبار من أمثال فاروق جويدة ومحمد ابراهيم أبو ســنة وأحمد عبد المعطى حجازى وعبد الرحمن الأبنودى وأحمــد فؤاد نجم وجمــال بخيت وغيرهم كثير كثير، وما دام فيهــا مفكرون وعلماء أفذاذ مــن أمثال أســامة الباز و يحيى هويدى ومصطفى ســويف وصفى الدين أبو العز وحســن حنفى وشــوقى جلال وأحمد الطيب وحســن الشافعى ومحمود زقزوق وعلى جمعة ويحيى الجمل ومراد وهبة ومحمد عنانى وماهر شــفيق وسمير مرقص ومحمد الجوهرى وحســين نصار وفهمى هويدى وفوزى فهمى وحســام عيســى ومفيد شهاب وفوزية عبد الستار وإمام عبد الفتاح وحســين كامل بهاء الدين وحامد عمار وأحمد حجى ومحمود الناقة ومصطفى السيد وفاروق الباز وشريف مختار ورشيقة الريدى وأحمد فؤاد باشا وعبد الحليم نور الدين وغيرهم كثير كثير، وما دام فيها من الفنانين المبدعين أمثال محمد صبحى وعزت العلايلى ونور الشــريف وفاتن حمامة وسميحة أيوب وعايدة عبد العزيز وأحمد عبد الحليم وحسين فهمى ومحمد فاضل وخالد يوســف وعادل إمام وفردوس عبد الحميد وخليل مرســى وعلى الحجار ومحمد منير وغيرهم كثير كثير. إن علماء مصر ورجال الفكر فيها وكتابها ومثقفيها وفنانينها الكبار وتلاميذهم أجيالا وأجيال هم ســر قوة مصر الناعمة وهؤلاء – ممن ذكرت وممن لم أذكر لضيق المســاحة – موجودون فى كل ربوع الوطن يعملون ويبدعون وينتظرون الفرصة لتتوهج إبداعاتهم من جديد لتكون شرارة ثورة التقدم الحقيقية على أرض الكنانة.. ولا تيــأس يا بنى فإن غــدا لناظره قريب قريب..ولتعلم أن كل ثــورات الدنيا وقفت أمام

تحقيــق أهدافها الكثير من العراقيل التى قام بها أعداؤها ســواء الظاهرون للعيان أو الذين تخفــوا تحت عباءتها لكنها ســرعان ما تنهض من كبوتها وتتحــدى كل العقبات وتحطم كل التحديات عبر النقاء الثورى الهادر لإرادة الشعب الواعية التى لاتهدأ إلا بعد أن تجد الأمانى تتحقق والأهداف تتحول إلى واقع يعيشــه الناس. وليســت الثورة المصرية استثناء مــن هذه القاعــدة، فالقاعدة أن لكل ثورة أعداءها وإن كان أشــد هــؤلاء الأعداء هم الذين يتمسحون بها ويلبسون ثوبها زورا وبهتانا، وحينما يفطن الشعب إلى هؤلاء الأعداء ويكشف مخططاتهم لسرقة ثورته والاستيلاء على إرادته سرعان ما يهب من جديد طلبا للحق ودرءا للباطل وإعادة مسار ثورته إلى الطريق الصحيح!! وإنى لأرى هذا فى فجر جديد قادم للثورة المصرية لن يطول انتظاره. ولاشــك أن صانعى هذا الفجر الجديد هم أنتم ياشــباب الثورة الواعــى، هــم أنتم يا أصحاب المصلحة الحقيقية فى هذا الوطن ويا صناع مســتقبله الواعد الذى سيولد بسواعدكم الفتية وبفكركم المبدع وبإرادتكم القوية التى لاتلين.

❑❑❑

## (٧)
## وعادت أنوار مصر تتلألأ من جديد مع ثورة يونية وانتخاب الرئيس

كانت آخر مقالة كتبتها للأهرام فى باب «قضايا وآراء» قبل ثورة الثلاثين من يونيو بعنوان «هل انطفأت أنوار مصر؟»، وقد قدر محررها القدير آنذاك أن يستبدله بما انتهت إليه المقالة ذاتها «لن تنطفئ أنوار مصر»؛ لقد قلت وقتها إنه على الرغم من اليأس الذى بدا على وجوه الشباب والإحباط الذى سرى بين الناس والتردى الواضح فى كل الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية، فإن مصر لم ولن تموت ولن تنطفئ أنوارها أبدا لأن أنوارها ليست فيما يفعله حكامها مهما استبدوا ومهما كانوا ظلاميين وغير واعين بدورها الحضارى والريادى عبر التاريخ، إنما أنوارها كامنة فى قلوب وعقول شعبها العظيم وأبنائها الأبرار من ذوى القدرة والمكانة فى الفكر والآداب والعلوم والفنون، وفى السياسة والاقتصاد. إن أنوار مصر فى وجه فلاحها الصابر المكافح الذى يقضى يومه يزرع ويحصد الخير لمصر والمصريين، إنه فى وجه كل عمالها البسطاء الذين يؤمنون بأن العمل عبادة وإتقانه صلاة لله، إن أنوارها فى وجه شبابها الرائع الذى امتلك أدوات العصر ولما لم يجد المجال مفتوحا أمامه لخدمة نفسه ووطنه وسدت فى وجهه آفاق الأمل فى المستقبل امتلك إرادته وقاد ثورته غير المسبوقة فى الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م معبرا عن إرادة شعب وهوية أمة تريد التقدم والرفاه وتنشد الحرية والعدالة، ثم لما وجد أن من سرقوها منه يسيرون بها فى الطريق الخطأ أعاد تأجيجها فى موجة ثانية عارمة مبهرة فى الثلاثين من يونيو العظيم من عام ٢٠١٣م ليسجل التاريخ الإنسانى أنه ولأول مرة يثور شعب ويصحح مسار ثورته بثورة سلمية ثانية أشد وأقوى من الأولى خلال عامين فقط من عمر الزمان. إن أنوار مصر فى صدور كل فرد من أفراد جيشها العظيم الذين هم بشهادة الرسول الكريم خير أجناد الأرض، إنهم أولئك الرجال الذين طالما انحازوا إلى شعبهم دوما ولم يحدث عبر التاريخ منذ مصر القديمة إلى الآن أن وجهوا سلاحهم ضد أبناء شعبهم، بل كانوا على مدى التاريخ قوة مصر القاهرة للأعداء والمدافعة عن حدود الوطن.

لقد سطعت أنوار مصر فى صبيحة يوم الثلاثين من يونيو و يوم الرابع من يوليو ٢٠١٣م، وكذلك يوم السادس والعشرين من يوليو كما تسطع دائما وقت الشدائد والأزمات، واستعاد شعبها البطل بلده إلى حضنه الدافئ من جديد فى لحظة فارقة من تاريخ مصر المجيد، إنها اللحظة التى توحد فيها الجميع، لحظة «الكل فى واحد» جيش وشرطة وشعب، ولحظات التوحد فى تاريخ مصر هى اللحظات التى تأذن ببزوغ فجر جديد، فجر نهضة حقيقية باهرة. وإنى لأستشعر أن هذه اللحظة هى لحظة بزوغ هذه النهضة الجديدة وكأن تاريخ مصر كان قد توقف فيما بين ١٢فبراير ٢٠١١م و٣٠ يونيو ٢٠١٣م، توقف لأنه قد انفجرت فى هذه الفترة كل الشرور والأخطاء والأمراض التى خرجت من رحم شعب أراد له الله أن يتطهر من حمله الكاذب وأن يعود عفيا قويا من جديد.

حقا لقد تطهر الشعب المصرى من أدرانه وشفى من أمراضه وتخلص من حمله الكاذب الذى مثله جماعة «الإخوان» ومشروعهم المزيف وشعاراتهم الكاذبة. لقد عاد الشعب إلى توحده لافرق فيه بين شباب وشيوخ، بين رجال ونساء، بين مسلم ومسيحى، بين سلفى وليبرالى علمانى. ولاشك أن هذا التطهر يكون عادة بداية لحظة فارقة فى تاريخ الأفراد والشعوب على السواء؛ فعلى مستوى الفرد يكون بداية مراجعة حقيقية للنفس حتى تتجه إلى الصواب بعد أن كشفت أمامها الحقائق وانجلت غوامض الأمور، وعلى مستوى الشعوب يبدأ أفرادها فى تغليب المصلحة العامة و الوطنية على المصالح الذاتية وتغليب نوازع الخير على نوازع الشر، ومن ثم يكون ذلك إيذانا ببدء تحقيق حلم الأمة فيتحقق لها النصر تلو النصر وتتبوأ مكانتها المتقدمة بين الأمم.

والحق أن مصرنا الغالية تعيش هذة اللحظة الفارقة المتطهرة الآن، ومن ثم علينا أن نرسم لأنفسنا أفرادا وشعبا، حكاما ومحكومين خطة طريق للانتصار على أنفسنا وعلى أهوائنا الذاتية حتى نحقق ما نصبو إليه ونمتلك إرادة التقدم من جديد بعد أن افتقدنا بوصلتها فى السنوات الماضية، وهذه الخطة تعتمد على أمرين اثنين لا ثالث لهما:

**أولا:** الحرص على أن نظل متحدين فلا يميز بين بعضنا بعضا، فالجميع مصريون لا فرق بين مصرى وآخر، كلنا محب لبلده ومنتم إلى وطنه، وكلنا نعمل لمصلحة الوطن بلا تخوين أو إقصاء، قد نختلف فى الآراء أو فى العَقيدة لكننا نتشارك فى حب الوطن، تتعدد انتماءاتنا السياسية والحزبية لكننا متفقون على المصلحة العليا للوطن وعدم المساس بأى من

ثوابته القومية. إن اختلاف الآراء والمعتقدات فطرة فطر الله الناس عليها وينبغى أن نسلم بها بل ندافع عنها؛ لأن الله خلقنا أفرادا وشعوبا وقبائل شتى لنتعارف ونتشارك ونتعاون على كل ما يعمر الأرض ويبنى الحضارة ويصنع التقدم وينشر الخير والسلام. إن فى إدراك ذلك قوة المصريين وسبيل توحدهم لتحقيق كل أهدافهم فى النهضة والتقدم أما الأمر الثانى الأكثر أهمية فهو أن نعود للعمل الجاد المخلص من أجل تحقيق مصلحتنا ورفعة وطننا فقد حبانا الله أرضا مليئة بالخيرات يمكننا أن نستخرجها وننميها بالعلم الجاد والعمل المخلص، إن على كل منا أن يركز فى العمل الذى يتقنه؛ فالفلاح عليه أن يخلص فى زراعته ويرعى محصوله، وعلى العامل أن يخلص فى عمله ويتقنه، كذلك العالم فى معمله والقاضى فى محكمته والأستاذ بين طلابه والجندى فى دفاعه عن وطنه والشرطى فى حفاظه على الأمن، إن كل ذى تخصص وكل ذى حرفة عليه أن يتقنها؛ فالله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه وإتقان العمل لوجه الله يصب فى النهاية فى مصلحة الفرد ومصلحة الوطن. لقد قصرنا جميعا فى أعمالنا بحجة أن «البلد نهبها حكامها» و «على قد فلوسهم »وربما كان ذلك سببا فى بعض ما كنا نعانيه من شظف العيش و «قلة البركة ! !» فلنعد الآن إلى العمل الجاد المتقن ليكون ذلك نذيرا ومبشرا بالخير الكثير الذى سيعم كل أبناء الوطن.

إن هذين الأساسين، العودة إلى وحدة أبناء الأمة تحت راية الوطن الواحد دون تمييز ودون إقصاء والعودة إلى العمل الجاد والإخلاص فيه، سيقودان الجميع بحق إلى صنع المستقبل المشرق لهذا الوطن العظيم وهو المستقبل الذى يليق بمصر وبالمصريين الذين صنعوا معجزة التغيير السلمى مرتين خلال أقل من ثلاثة أعوام وانتصروا فيهما على الاستبداد والطغيان، ولا أشك لحظة فى أنهم قادرون على صنع معجزة التقدم فى كل مجالات الحياة بما فيها التقدم الاقتصادى والعلمى وتحقيق العدالة الاجتماعية فى زمن قياسى يدهشون به العالم كما أدهشوه على مدار تاريخهم القديم والحديث على حد سواء.

إن الشعب المصرى لا تنطفئ أنواره أبدا رغم ما قد يعتريها من خبو ورغم ما قد يعرقلها من عثرات؛ إذ سرعان ما يتحول الذبول إلى توهج والجمود إلى تقدم، إنه الشعب الذى صنع أول حضارة وأول مدنية على وجه الأرض، وهو الشعب نفسه القادر بإذن الله وإرادته على أن يصنع اليوم نهضته الجديدة ليتبوأ المكانة التى تليق به بين شعوب العالم المتقدمة. لقد عادت أنوار مصر تتلألأ ساطعة من جديد ولن يستطيع أحد أن يطفئها بعد

اليــوم، وخاصة بعد أن تغلب المصريون على كل المعوقات، وتحدوا كل المؤامرات الداخلية والخارجية، ولم يأبهوا بالتفجيرات الإرهابية ولم تخفهم الميليشــيات التكفيرية، ونجحوا فى تنفيذ خارطة المستقبل التى حددوها لأنفسهم؛ فمن وضع الدستور الجديد، إلى انتخاب الرئيــس الجديد بهذه الأغلبيــة الهائلة التى تمكنه من الانطلاق بقــوة فى تنفيذ برنامجه مدعوما بثقة المصريين الذين بادلوه حبا بحب، ولاشــك أنهم سيكونون هم أنفسهم الدعامة القوية التى تتحمل مع الرئيس عبد الفتاح السيســى عبء صنع المســتقبل الأفضل لأنفسهم وللأجيال القادمة.

❑❑❑

## (٨)
## المصريون يعيدون صياغة التاريخ الإنسانى بثورتهم الثانية

إن القــراءة المتأنية لما حدث فى مصر خلال العامين الماضيين ومنذ نجاح ثورة المصريين الأولى فى ٢٥ يناير ٢٠١١م فى الإطاحة بنظام مبارك الاستبدادى يتأكد بها أن الثورة التى أبهرت العالم بســلميتها وبقيادة شــبابها النقى قد ســرقت منذ اللحظة الأولى حيث بدأت مفاوضات الإخوان مع قادة المجلس العسكرى آنذاك، تلك المفاوضات التى انتهت بإصدار ذلك الإعلان الدســتورى المشــئوم الذى حدد خارطة طريق خاطئة تبــدأ بإجراء انتخابات مبكرة للمجلس النيابى قبل وضع دســتور جديد للبلاد!! ولم يكن ذلك إلا لمصلحة فصيل واحــد فقــط هو جماعة الإخوان والتيارات الإســلامية التى كانت تعمــل على الأرض منذ عشــرات الســنين وتتحين الفرصة للقفز على السلطة. وبالفعل تم لها ذلك وخدع المصريون تحت ســتار الدين فولوا الســلطة لمن لايستحقها!! ولم يمر عام على تولى الجماعة السلطة الحقيقية بعد انتخاب د.مرسى رئيسا للبلاد حتى بدأ ينكشف المستور شيئا فشيئًا وبدأت الشــعارات التى رددوها أثناء الانتخابات تتســاقط واحدا بعد الآخر فلم ير المصريون شيئا من هذه الشعارات البراقة مثل «الإسلام هو الحل» و «نحمل الخير لمصر» و «مشروع نهضة مصــر» يتحقق على أرض الواقع!! وســاءت حياة المصريين فــى الوقت الذى اطمأنت فيه الجماعــة إلى أنها قد امتلكت مصر وأن عليها أن تســرع فى تمكين أعضائها وأنصارها من الســيطرة على مفاصل وأركان الدولة فى مصر تمهيدا لتنفيذ الخطة الأهم وهى جعل مصر إحدى ولايات دولة الخلافة المنشــودة!! ولا يهم فى إطار ذلك أن تتآكل أطراف مصر فى سيناء وحلايب وشلاتين، ولا يهم أن تؤجر قطعة غالية واستراتيجية من أرض تحت شعار خطة تنمية قناة الســويس، ولايهم أن يبنى الأثيوبيون سدا ليحققوا نهضتهم على حساب حصة مصر فى مياه النهر ولا مانع من أن تستفيد إسرائيل من مياه النيل عبر مصر الإمارة الإســلامية ضمانا لوجود إمارة غزه فى يد حماس، ولا مانع من أن تضم حماس إمارة رام الله إلى ملكها وكذلك أجزاء من سيناء المصرية مقابل أن تتمتع إسرائيل بالاستقرار، والأهم

كذلك هو مد جسور الصداقة والود مع تركيا رمز الخلافة العثمانية البائدة والتى لم تترك بصمة واحدة على أرض مصر أثناء تبعيتها لها، ولا مانع من مد جسور التعاون مع إيران رغم أطماعها الفارسية واحتلالها للجزر الإماراتية ما دام ذلك سيساعد فى تحقيق الأهداف الآنية للجماعة الإخوانية، أما سوريا فلتسارع حكومة الإخوان إلى نجدة إخوانها هناك بإعلان الجهاد ضد حكومتها الشرعية ولا مانع من قطع العلاقات إجمالا معها ما دام أن ذلك سيساعد فى تفتيت وحدة الأراضى السورية وتحطيم جيشها، فالمهم هو أن تنضم إمارة سوريا فى النهاية لتصبح إحدى ولايات الخلافة المزعومة، وليتأمل المصريون معى، وخاصة من لم يعوا بعد هذا المخطط الإخوانى، منظر تلك الطفلة الصغيرة التى وقفت على منصة رابعة العدوية منذ أيام لتهتف أمام قادة الجماعة وهم يرددون وراءها «يالاميس ياراس الحية الخلافة جايه جايه» وكأن لميس الحديدى المذيعة اللامعة ضمن إحدى القنوات الفضائية تقف ضد المشروع الإخوانى فى إعادة الخلافة الإسلامية!! ولعلكم قد فهمتم الآن لماذا قال المرشد السابق للجماعة «طظ فى مصر» فمصر ليست فى رأى الجماعة إلا مجرد أداة لتحقيق الهدف الأكبر!! ولا يهم أن تذوب قوميتها أو تضيع هيبتها أو حتى يعانى أهلها الفقر والفاقة. إن المهم هو تحقيق مصلحة الجماعة فى سيادة العالم الإسلامى!!

أيها المصريون الشرفاء العظام وشباب مصر الأوفياء فى كل الحركات الثورية من تمرد إلى ٦ أبريل، وياشعب مصر الأبى الواعى، لقد أسقطتم بثورتكم الثانية فى ٣٠ يونيو هذا المخطط الذى لم يكن قط يحمل الخير لمصر، بدليل أنه لم يقدم إشارة واحدة طوال عامين ونصف على ذلك، بل انكشف مخططه أمامنا بصورة فجة ؛فقد كانوا هم الطرف الثالث الذى يسعى لتخريب مصر وإفقاد مؤسساتها الهيبة بتأجيج الصراع بين الشرطة والشعب لصالح تأسيس الحرس الإخوانى، ثم بتأجيج الصراع بين الجيش والشعب تحت شعار «يسقط يسقط حكم العسكر» وكأن جيش مصر مجموعة من المرتزقة المأجورين وليس هو ذلك الجيش الوطنى الذى لم يرفع سلاحه يوما فى وجه مواطنيه لأنه منهم، ثم بتأجيج الصراع بين فئات الشعب المختلفة؛ بين المسلمين والمسيحيين، بين المسلمين سنة وشيعة، بل بين جماهير الكرة ألتراس أهلاوى وألتراس مصرى.. إلخ.

إن المخطط كان إضعاف مصر القوية لصالح مصر التى لن تنهض إلا كإمارة إسلامية تحت الخلافة أيا من كان سيختارونه لقيادتها!!

أيها المصريون العظام الذين خرجوا بملايين هادرة لم يشهدها التاريخ الإنسانى من قبل، إنكم بهذه الثورة الثانية قد أفشلتم وأسقطتم ذلك المشروع الساعى لتفتيت مصر وكسر شوكتها، ذلك المشروع الذى توافقت فيه مصلحة الإخوان مع مصلحة أمريكا ومخططها الصهيونى لتفتيت الدول العربية وكسر إرادتها بحيث لاتملك إرادة التحدى لإسرائيل ولاتستطيع مواجهة مشروعها التوسعى الذى لم تتنازل عنه حتى الآن، مشروع إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات. إن المواجهة التى يسعى الإخوان إليها الآن لكسر إرادة الجيش المصرى بالهجوم المباشر عليه هى آخر أوراق التوت التى تعرى مخططهم الفاشل؛ فالجيش المصرى كما هو معلوم هو أكبر وأهم الجيوش العربية وهو الآن آخرها الذى لم يهتز ولم يستطع أحد النيل منه. إنهم يريدون النيل منه لينفتح الطريق مرة أخرى أمام إعادة تنفيذ المخطط الصهيونى الأمريكى بالسيطرة التامة على المنطقة وإخضاعها للمخطط الذى ينفذونه منذ فترة تحت شعار «الفوضى الخلاقة» أى الفوضى التى تخلق واقعا جديدا على الأرض يمكنهم من تفتيت الدول العربية إلى دويلات صغيرة لاجيوش لها ومن ثم يمكن تحقيق المشروع الصهيونى الكبير؛ «دولة يهودية» هى الأقوى فى المنطقة تعربد فيها كيف تشاء وتقضى بالتالى على حلم عودة الفلسطينيين إلى أرضهم المسلوبة وتأسيس دولتهم المستقلة!! إنكم أيها المصريون العظام قد أفسدتم بثورتكم الثانية ضد حكم الإخوان كل هذه المخططات وأعدتم مصر إليكم وإلى حضنها العربى وإلى عمقها الإفريقى الأصيل. ولاشك أن كل الدول العربية وكل الدول الإفريقية ستقدر لكم هذا العمل الجليل وستدعم مصر القوية بكل قوة .وعلى أمريكا ومن يقفون معها من الدول الأوربية وكل الداعمين للمشروع الصهيونى أن يعيدوا حساباتهم؛ فمصر بشعبها الأبى الواعى الذى استفاق بعد غفوة طويلة ستعود دولة كبرى ومحورية بالمنطقة وستعيد ممارسة دورها الريادى فى صياغة وصناعة تاريخ العالم كما كان لها هذا الدور عبر كل عصور التاريخ. إن مصر بوعى المصريين العالى وبحس شبابها الوطنى الفذ، الذى ربما فاق حس ووعى نخبتهم السياسية التى كانت تجرى وراء تحقيق مصالح سياسية ضيقة، لن يسلموا أبدا بالخضوع لمشروعات ومخططات ترسم لهم سواء من الداخل أو من الخارج لأنهم يعرفون مكانتهم جيدا ويعرفون أنهم الحصن الحصين والأخير الحامى للمصالح الوطنية العربية والإفريقية والإسلامية؛ فمصر ستظل موطن الإسلام الوسطى المعتدل وستظل صاحبة دعوة

الحيـــاد الإيجابى والســـلام الحقيقى الذى لا يفرط فى الهويـــة الوطنية ولايمس الثوابت العربية والإســـلامية. إن المصريين صناع أول حضارة ومدنية إنســـانية وهم القادرون دوما على تغيير مجرى التاريخ الإنسانى إذا تطلب الأمر ذلك، وهاهم يفعلون فلهم المجد ولهم كل التوفيق بإذن الله لأن الله يرعاهم دائما بحق قوله فى الإنجيل «مبارك شـــعب مصر» وقوله فى القرآن ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَإِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[1].

❑❑❑

(١) سورة يوسف، الآية ٩٩.